

حقيقة البيعة

"... وبعد فأقول مرة أخرى: لا يغرنكم الظن بأنكم بايعتم ظاهرًا. فإن الظاهر ليس بشيء. إن الله ينظر إلى قلوبكم، فيجازيكم بحسبها. ألا يا أيها الناس، إني لأبرأ من ذمة التبليغ بعد الإيدان بأن الإثم سم من السموم، فلا تبلعوه، وأن معصية الله موت نجس فاحذروه. وادعوا لتوهبوا قوة.

ألا إنه ليس من جماعتي من لا يؤمن وقت الدعاء بأن الله قادر على كل شيء، اللهم إلا فيما كان خلاف وعده. ومن لا يترك الزور والخداع فليس من جماعتي. والذي هو منكم في شهوات الدنيا، ولا يكاد يرفع بصره إلى الآخرة فليس من جماعتي. والذي لا يقدم الدين على الدنيا في الحقيقة فليس من جماعتي. وليس من جماعتي من لا يتوب إلى الله توبةً نصوحاً من جميع السيئات، ومن كل عمل غير صالح من شرب الخمر والمقامرة ومن النظر السيء ومن الخيانة، ومن كل تصرف غير مباح. والذي لا يواظب على الصلوات الخمس بالالتزام فليس من جماعتي. والذي غير مشغول في الدعاء على الدوام، ولا يذكر الله تضرعاً فليس من جماعتي. ومن لا يفارق الرفيق الطالح الذي ينفث فيه أثره السيء فليس من جماعتي.....

ومن ينقض العهد الذي عاهده عند البيعة بوجه من الوجوه فليس من جماعتي. ومن لا يؤمن بي مسيحاً موعوداً ومهدياً معهوداً فليس من جماعتي. والذي غير مستعد ليطيعني في المعروف فليس من جماعتي. والذي يجالس زمرة المعارضين وينعم لهم نعم بنعم، فليس من جماعتي. وكذلك كل زان وفاسق، وقاتل، وسارق، ومقامر، وخائن، ومرتش، وغاصب، وظالم، وكاذب، ومزور، وجلساؤهم. والذي يظن بإخوانه وأخواته ظن السوء، ولا يتوب عن أفعاله الشنيعة، والذي لا يهجر مجالس الفحش فليس من جماعتي.

ألا كل هذه السموم لا يمكنكم النجاة قطعاً بعد أكلها. كلا! لا يجتمع الظلام والنور في مكان واحد. كل من كانت جبلته معوجة معقدة، وليست معاملته مع الله تعالى نزيهة صافية لن ينال أبدًا تلك البركة التي يؤتاها أصفياء القلوب. ما أسعد أولئك الذين يصفون أفئدتهم، ويظهرون قلوبهم من كل الأدناس تطهيراً، ويؤمنون مع ربهم عهد الوفاء. فأنعم بهؤلاء، فإنهم لا يضاعون أبدًا. من المستحيل أن يخزيهم الله، لأنهم كانوا لله وكان الله لهم. لا جرم أنهم عند كل بلاء معصومون. وإنه لسفينة العدو الذي يقصدهم بسوء، لأنهم في حضن الله وحمايته. من الذي يؤمن بالله حقاً؟ هم أولئك الذين كانوا أمثال هؤلاء."

(سفينة نوح، الخزائن الروحية، ج ١٩ ص ١٨ - ٢٠)